

قصة الكاهن السامري الذي اكتشف خطأ في كتاب 'العهد الجديد'

The Story of the Samaritan Priest who Discovered an Error in the New Testament

Translated by
Haseeb Shehadeh
The University of Helsinki

فيما يلي ترجمة عربية لهذه القصة، التي رواها إبراهيم شاكر فرج المبرجي (אברהם בן יששכר מרחיב המרחיבי، ١٩٢١-١٩٨٩) بالعامية الفلسطينية النابلسية، لبنيامين راضي صدقة (١٩٤٤-)، الذي بدوره نقلها إلى العبرية، ونشرها في الدورية السامرية أ. ب. - أخبار السامرة، العددان ١٢٠٧-١٢٠٨، في الأول من آذار ٢٠١٦، ص. ٢٤-٢٦. هذه الدورية التي تصدر مرتين شهرياً في مدينة حولون جنوبي تل أبيب، فريدة من نوعها: إنها تستعمل أربع لغات بأربعة خطوط أو أربع أبجديات: العبرية أو الآرامية السامرية بالخط العبري القديم، المعروف اليوم بالحروف السامرية: العبرية الحديثة بالخط المربع/الأشوري، أي الخط العبري الحالي؛ العربية بالرسم العربي؛ الإنجليزية (أحياناً لغات أخرى مثل الفرنسية والألمانية والإسبانية) بالخط اللاتيني. بدأت هذه الدورية السامرية في الصدور منذ أواخر العام ١٩٦٩ وما زالت تصدر بانتظام، توزع مجاناً على كل بيت سامري في نابلس وحولون، قرابة الثمانمائة نسمة، وهناك مشتركون فيها من الباحثين والمهتمين في الدراسات السامرية، في شتى أرجاء العالم. هذه الدورية ما زالت حية ترزق، لا بل وتتطور بفضل إخلاص ومثابرة الشقيقين بنيامين (الأمين، لقبه جدّه أبو أمّه المعروف بسيدو ب: بنديط) ويفت (حسني، ولقبه سيدو ب: أبو جلدة)، نجلي المرحوم راضي (رتسون) صدقة (٢٢ شباط ١٩٢٢-٢٠ كانون الثاني ١٩٩٠).

أمامنا في هذه الحكاية/الأسطورة مقدّمة طويلة، وبيت القصيد يأتي مختصراً في النهاية، وهو حول الكاهن الأكبر إسحق بن عمران بن سلامة الحفتاوي، ١٨٥٥-١٩٣٢ وكاهن أكبر بين العامين ١٩١٧-١٩٣٢، وفي الطرف الآخر كاهن كنيسة القيامة بدون ذكر اسمه. تعرّف ذلك الكاهن الأكبر، على شخصيات كثيرة، مثل بول كالي وموسى چاستر ودافيد يلين، والأخير قال إنّ في حوزة إسحق أكبر مجموعة من الكتب بين السامريين، وهو إنسان عاطل عن العمل باستثناء الكهنوت. ألّف كتاباً بالعربية يضم ٦٠٠ صفحة حول تاريخ السامريين، منذ نشوئهم وحتى أيامه، معتمداً على مؤلفاتهم القديمة.

”السلام عليك يا صديقي الطيب! أشكرك جزيل الشكر، لأنك تسألني عن حالتي. إنها بالتأكيد طيبة، ولمّ تسأل إن كنت تعلم أنّني عائد من زيارة لجبل جريزيم؟ نعم، وبدت أن ابعد قليلاً عن الضجيج في مدينة حولون، من متطلّبات زبائن عرضيين، من الشرّ في عيون موظّفي البلدية المتشدّدين، ومن صيحات نساء سامريات، يطلبن منّي أن أذبح وبسرعة دجاجاتهن، وإلا فهناك خوف أن تنفق جوعاً، لا سمح الله. نعم، لي مسكن ثانٍ على الجبل، كباقي سامريي نابلس وحولون. وبشكل عامّ، أين ومتى عرف أبناء طائفتي أيّاماً أحسن وأجمل من هذه الأيام؟

لكلّ واحد منّا بيت في نابلس أو في حولون لفصل الشتاء، وبيت آخر على جبل جريزيم لفصل الصيف ولأيام الأعياد. متى نعمت الطائفة بمثل هذه البجوحة؟ إذا رغبت في العمل من أجل إعالة العائلة كان ذلك، وإن شئت أن

أقفل المصلحة فعلت، أصطحب زوجتي تاركًا الأولاد للعناية بالبيت، ونصعد إلى مسكني الذي شيّدته على جبل جريزيم، في أعقاب حرب العام ١٩٦٧.

لا ريب أنك تعلم ما معنى التمتع بالحياة! معناه الأوضح هو المكوث على جبل جريزيم. وهل هناك للسامريين أيّام أجمل من أيّام ما قبيل عيد الفصح على جبل جريزيم؟ وهل ثمّة هواء في العالم ألطف وأحسن وأنقى من هواء جبل جريزيم؟ قل لي من فضلك، لماذا لا تنبس ببنت شفة؟ أهنك منظر أجمل من منظر شروق الشمس أو غروبها، عندما تكون واقفًا على جبل جريزيم؟ نعم، وهكذا أيضًا يصف اليهود جبلهم، ولكننا الاثنان نعرف أن هذه قصة متأخرة، اخترعوها تحديًا للمؤمنين بجبل جريزيم.

ولكن، دع عنّا هذا الجدل وهذه المماحكة، في مثل هذه الأيام الرائعة. هل تعلم، هنالك حاخام يهودي كان كلّمًا كان يمرّ من أمام دكّاني، كان يتوقّف ويفتح معي جدًّا حامياً حول كلّ موضوع بيننا وبينهم. بعد عدّة لقاءات كهذه، كنت قد أتّبتته فيها وأثبتّ له أخطائهم الكثيرة، أخذ يبحث عن طريق أخرى ليسلكها، لتفادي المرور من أمام دكّاني. وهذا ما يحدث عندما لا يجدون جوابًا، يؤثرون عدم السماع، حتّى لا يعترفوا بأنّ الحقّ معنا. كفى، كفى، لا أرغب في المزيد بهذا، ولكن هذا ما ذكرّنتني به عند سؤالك عن حالي.

إنّك تسأل، ما الجديد في جبل جريزيم؟ ها قد صعد كلّ سامريي نابلس إلى بيوتهم على الجبل، ونحن جميعًا سننضمّ إليهم بعد أسبوعين. إنّك على علم بهذا من قبل؟ مع هذا، في جعبتي خبر جديد لك. أحضرت لك من جبل جريزيم هدية خاصّة جدًّا: سلّة كبيرة، فيها كمّيّة كبيرة من البرد. أحم! هواء عليل كان هناك بوفرة، ولكنّه بارد. أقول لك، أحسن هواء كما أسلفت، موجود في جبل جريزيم، وفي موسم البرد يكون هواء جبل جريزيم الأبرد. كنت أرجف هناك من البرد. نعم، هنا الطقس حارّ، ويكون حارًّا هناك بالتأكيد. ولكن عندما يكون الجو باردًا هنا في حولون، أعلم أنّه لا مكان أبرد في البلاد من جبل جريزيم. هذه هي الحال، لا يمكن عمل أيّ شيء. قال من قال: الكل يتحدّث عن حالة الطقس، ولكن لا أحد يعمل شيئًا لتغييرها [مارك توين].

ماذا تقول؟ تقول إنني مكثت هناك ثلاثة أيّام، وهذا لا يتمشّي مع شكواي حول البرد. أقسم بأنّك تضحكني. من قال لك إنني كنت هناك ثلاثة أيّام؟ سافرت إلى هناك يوم الجمعة، وكلّه انقضى في السفر ووصلت هناك ظهرًا، بضع ساعات قبل الصلاة. وريثما رتبنا أنا وداليا زوجتي، الأغراض التي أحضرناها معنا إلى الجبل، انسلخ يوم الجمعة. وفي ظهر يوم الأحد أعادتنا سيارة الأجرة العربية إلى حولون. إذن، كم يومًا قضينا على الجبل؟ هيا! بالكاد يوم ونصف في برد قارس جدًّا.

أندري بماذا يذكّرني هذا؟ لا، إذن سأقصّ عليك حادثة جرت مع إسحق بن عمران الكاهن الذي كان كاهنًا أكبر بعد الكاهن الأكبر يعقوب بن أهرون وقبل الكاهن الأكبر توفيق بن خضر (מלליח בן פינחס). الحادثة التي أقصّها عليك عن الكاهن إسحق كانت قد جرت قبل أن يصبح كاهنًا أكبر. قل لي، ألم تسأل نفسك قطّ، عندما شاهدت وسمعت أبناء إسحق بن عمران الكاهن الأكبر وأبناء شقيقه صدقة، رحمهم الله جميعًا، كيف كانوا يجادلون مسيحيين ومسلمين، ويكثرون من الاقتباسات من العهد الجديد ومن القرآن؟

لم تسأل نفسك، من أين تعلّموا اقتباس آيات كاملة من هذين الكتابين؟ إنني أقول لك من أين تلقّوا هذه المعرفة، من والديهما، إسحق بن عمران الكاهن. إنهما نشأ تحت كنفه، وسمعا منه مناقشاته الكثيرة مع حكماء المسيحيين والمسلمين، وكيف كان يذهلهم بإسماعهم فصولًا كاملة من العهد الجديد ومن القرآن. أسمعت ما كان يقوله خالي

نفون بن عبد الرحيم الدنفي (דבון בן לבד הרחום) شقيق أمي روزه من أن الكاهن الأكبر إسحق حفظ القرآن كله والعهد الجديد غيباً؟ هل ترى؟ إنه يؤكد ما أرويه لك.

ما معنى هذا، لماذا حفظ هذين الكتابين عن ظهر قلب؟ كي يعرف كيف يجيب! نعم، ولكن ماذا؟ عندما تبدي معرفة عميقة كهذه بما كتبه معارضو ديانتك، فإنك ستفهمهم في كل جدال، ويكونون عاجزين عن أي رد. لا يعرفون بماذا يردون عليك، لأنك متمكن مما في مصادرهم أكثر منهم، كما أنك ضليع في مصادرك، وعلى هذا النحو تكون لك الغلبة في كل نقاش.

امتاز الكاهن إسحق بن عمران بعقل راجح وبفطنة استثنائية، وكان له بمثابة قاعدة عريضة لمعرفة واسعة، استقاها من حكمة الآخرين. وعليه، لا عجب في أنه استطاع أن ينشئ ولدين فالحين، أحدهما البكر عمران، الذي لم يكن له نظير في مضممار الأخذ والعطاء، وفي القدرة على كسب مودة الآخرين، والابن الثاني صدقة، كان قائداً منذ الولادة ولا مثيل له اليوم في طائفتنا، رحمهم الله جميعاً.

نسيت تقريباً القصة التي أردت سردها عليك. اعتاد الكاهن إسحق بن عمران أن يزور القدس سنوياً مرات كثيرة. إذا كان قد وصل إلى فرنسا وإلى لندن، فلا عجب أنه دأب على زيارة القدس القديمة. ذات يوم مر الكاهن إسحق بن عمران، في الشارع الرئيسي في القدس العتيقة شرقاً. جذبت نظره يافطة كبيرة مثبتة على بوابة كنيسة القيامة. هناك، وفق ما ورد في كتاب العهد الجديد، دفن يسوع نبي المسيحيين بعد أن أنزل من على الصليب، وقبل أن يصعد، حسب أقوالهم، إلى السماء.

كُتب على اليافطة بالبنط الكبير: أيها الشاك في كلام العهد الجديد، الذي كله حقيقة من فم ابن الله. لا غلطة أو خطأ فيه. إن تجد في هذا الكتاب خطأ، فلك جائزة مقدارها خمس ليرات من الذهب.

خمس ليرات من الذهب، كانت أونها مقداراً عظيماً، وهي في أيامنا هذه ليست بمبلغ زهيد. الكاهن إسحق بن عمران رغب في المال. نادى كاهن الكنيسة وقال له: أصحيح المكتوب على اليافطة، في أن كل من يجد خطأ في العهد الجديد يفوز بخمس ليرات من الذهب؟ بالتأكيد، تبسم كاهن الكنيسة بثقة تامة، في أن لا خطأ في كتابه المقدس.

ولكن ثمة خطأ في العهد الجديد، قال الكاهن إسحق. وما هو؟ رد كاهن الكنيسة مندهشاً. مكتوب في العهد الجديد أن يسوع المسيحي مكث ثلاثة أيام في القبر، الذي تحمل هذه الكنيسة اسمه. إنه صلب يوم الجمعة، وصعد إلى السماء يوم الأحد، قال الكاهن إسحق. أجل، هكذا مكتوب، وافق كاهن الكنيسة. يومان مضيا وليس ثلاثة أيام قال الكاهن إسحق وهنا الخطأ، يحق لي مكافأة، أعطني النقود!

سأفكر في الأمر، رد عليه كاهن الكنيسة. فيما أنت تفكر في الأمر، أعطني شيئاً على الحساب، قال الكاهن إسحق. خذ ثلاث ليرات، قال أب الكنيسة، واحترس ألا أرى وجهك ثانية، أنتم الكهنة السامريون، ينبغي الحذر منكم!!!

لا تسأل أي عيد فسح بهيج قضاه الكاهن إسحق بن عمران مع أسرته في ذلك العام، وكان الطقس على جبل جريزيم، دافئاً، لطيفاً ورائعاً.